

الحضرة في مفهوم الإسلام

أنور اجتدى



دار الإقتصاد
بالبهاة

على طريق الأصالة الإسلامية

٤

الْحَضَرَةُ فِي مَفْهُومِ الْإِسْلَامِ

تأليف

أنور اجنادي

دار الأنصار

مكتبة - طابع - نشر - توزيع
المطبعة والنشر العربي في القاهرة
٩٣١٥٨١ ت

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول المسلم النمى محمد أسد (اليوبولد فابس)
أن الحضارات المختلفة قامت ونشأت رويدا رويدا من
تراث الماضى بما حوى من ضروب الرأى وقيارات
الفكر التى استغرقت فى تبلورها الى شكلها الخاص
وكيانها المحدد أمادا طويلة من الزمن ، فلقد انفردت
(حضارة الاسلام) وحدها بانبجائها الى الحياة دون
سابق عهد أو انتظار . وقد جمعت فى فجر نشأتها
كل المقومات الاساسية لحضارة مكتملة شاملة، فقامت
فى مجتمع واضح المعالم ، له نظرتة الخاصة الى الحياة
وله نظامه التشريعى الكامل ، وله نهجه المحدد لعلاقات
الافراد بعضهم ببعض داخل هذا المجتمع . ولم يكن
قيامها ثمرة تقاليد فخر بها الماضى ولا وليد تيارات
فكرية متوارثة ، ولكن هذه الحضارة كانت وليدة حدث
تاريخى فريد هو تنزيل القرآن الكريم وكان مردها الى
رجل فذ فى التاريخ هو محمد رسول الله . فلقد أدرك
الذين آمنوا بالاسلام واتبعوا محمدا وصدقوا بالقرآن
فاتخذوه قاعدة حياتهم — ان الدين الجديد الذى

جاءهم به القرآن يتطلب منهم هجرة بائنة الى ما جاءهم به عما توارثوه من عقائد في الحياة وما الفوه من مناهج السير فيها ، فكان قبولهم لما جاء به بداية حدث جديد في حياة البشر وتاريخهم ، اذ أنهم أدركوا أن الاسلام وقد جاء نظاما شاملا للحياة قد افتتح حقاً حضارة حديثة وما كان دوره ليقتصر على التمهيد لغيره من الحضارات أو الارهاص بها فتبينوا كما تبين من جاء بعدهم أن مبعث رسول الله كان ايذاناً ببداية عهد جديد بكل ما ينطوى عليه هذا البدء من حقائق ومعان ولن نفهم من هذا أن الاسلام قد قطع كل صلة بين حضارته وبين الماضي فذلك فهم لا يقبله العقل أو يستسيغه ، لان كل كائن عضوى لا يمكن أن يوجد دون أسلاف وآباء ، فلن تدهش اذن حين نرى أن ما جاء به رسول الله — على ما هو عليه من جدة في النظر الى الكون والحياة ومن استحداث نظام اجتماعي كامل — يتضمن كثيراً مما جاءت به الاديان ، ويتحدث عن كثير من الفضائل الخلقية التي كانت لدى من سلف من قبله ولم يتنكر لهذه الفضائل ... والحقائق أحد من اهل الاسلام ، بل لقد كان القرآن الكريم ذاته أصرح ما يكون اعترافاً بها وتسليماً .

وعندنا أن الاسلام قدم للبشرية مفهوم التحضر الاصيل وهو الانتقال من :

أولا : عبادة الاوثان والتمثيل والسحر والشعوذة والاساطير والخرافات ومن عبادات التثنية والتعدد الى عبادة الله الواحد الحق لا شريك له وانه قضى على آخر صور الانحراف وهى الشرك فأعلن أن الله غنى عن الشركاء وأنه صاحب الامر كله وأنه لا وسيطيينه وبين خلقه .

ثانيا : عبادة القيصر والامبراطور وعبادة الالهة وانصاف الالهة من البشر ، والتحرر من نظام العبودية كله الذى كان قائما اذ ذاك فى فارس والروم ومصر والهند .

ثالثا : انه دفع البشرية الى مرحلة الفكر والذكر والنظر فى ملكوت السموات والارض لمعرفة الصانع، والنظر فى آثار الاقدمين لمعرفة كيف قامت الامم والحضارات ولماذا انهارت (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) .

واعتبر الذكر والفكر فريضة واعتبر الغفلة ذنبا يستوجب العقاب .

(وقالوا : لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم) .

وبذلك انتقلت البشرية الى مرحلة الايمان الخالص
والنظرة في خلق السموات والارض لمعرفة الخالق ،
ولاستكفاء سر الحياة والبحث عن مصادر الثروة
وبذلك كان الاسلام مصدرا لنشوء (المنهج العلمى
التجريبى) الذى اهتدى اليه علماء المسلمين بعد أن
عاشت البشرية في ظل منهج التأمل والنظر العقلى
الخالص ومفهوم المقاييس المنطقية والعقلية وحدها،
وبذلك نقل الاسلام البشرية الى حضارة التجريب
وصحح آراء العلماء القدامى في الفلك والطب وانشاء
علوم الجبر واللوغريتمات والازياج وعلم الضوء ودفع
البشرية الى آفاق عالية في مجالات العلوم الرياضية
والطبيعية كانت هى المقدمات الاساسية والاصول
العامة التى قامت عليها الحضارة الحديثة .

ولقد عمد الاسلام الى اقامة مفهوم كامل
للحضارة : قوامه الحركة المادية والمعنوية في نفس
الوقت وحياطة التقدم المادى بالاخلاق والتقوى وتوجهه
الى صالح الانسانية وحماية المجتمعات من الفساد
 والانحراف . فالحضارة التى انشأها الاسلام جماع
الروحية والمادية ، والعقل والقلب ، والدنيا والآخرة،
وقد رسمت حضارة الاسلام منهاجا ثابتا قوامه النظرة
الانسانية وطابع التوحيد والعدل والاخاء واستصفت

كل ما كان في تراث الامة والحضارات القديمة فصهرت
الجوانب الصالحة منه في بوتقتها ، وظلت تقود العالم
كله بسلاح الخلق والتقوى والرحمة والاخاء ، ولم
تستطع المؤثرات الطارئة أن تغير من خصائص الاسلام
وقيمه الاسلامية ، وهذا الترابط بين التقدم وبين
المعنويات والماديات والمحاذير القائمة كالحدود والاخلاق
واضوابط دون أن يفقد التقدم اخلاقيته أو تقواه ،
هو وحده نقطة الخلاف بين الحضارة في مفهوم الاسلام
والحضارة في مفهوم الغرب ، وهذه هي نقطة الانفصال
بين الحضارة الغربية التي قامت أساسا على بواعث
اليقظة التي بعثها الاسلام في عالم الغرب فأخرجه من
الوثنية ومن الرهبانية ودفعه الى العمل والحركة ،
وصحح جانبها من مفاهيمه على أيدي لوثر وكالفن ،
ثم كانت « التجريبية » التي حملها « بيكون » عن
مدارس الاندلس وجامعاتها الاسلامية .

- ٢ -

غير أن الحضارة الغربية وريثة الاصول
الاسلامية لم تلبث أن ارتدت الى أصولها اليونانية
الوثنية والرومانية العبودية ، ووصلت بين الروح
والمادة ، والعقل واقلب والدنيا والآخرة ، وأعلت
الجانب المادي وحده اعلاء كاملا واعتبره الاساس

الوحيد لبناء الفكر والمجتمع ، وانتقصت كل ما يتصل بالدين والاخلاق والمعنويات والقيم الروحية وحررت الحضارة من ضوابطها وحدودها وهدفها الاصيل الذى يرمى الى اسعاد البشرية عامة وليس اسعاد فئة خاصة أو أمة خاصة أو عنصر خاص .

وتتمثل مقومات الحضارة الاسلامية فى عناصر أساسية أهمها :

أولا : قامت الحضارة الاسلامية على أساس مفهوم الاسلام ، وقد أمدّها القرآن بالروح والهدف ومؤثرات الحركة وضوابط العمل وأعطاهما القوة والتماسك ، والموازنة بين مقاصد الروح ومطالب البدن والبعد عن الزهد والترف معا والتحرر من الجمود والتحلل معا ، وقد اتسمت الحضارة الاسلامية بالسماحة والانسانية والبعالية ، فقد حرصت على حماية حرية غير المسلمين واحترمت شعائهم وفتحت أمامهم أبواب العمل ، وقد تمثلت مفهومها أساسيا هو طابعها الاصيل : الجمع بين الدنيا والآخرة وبناء الحياة والعمل فيها على أساس من الاخلاق والتقوى والاخاء الانسانى والرحمة .

وقلّد ربطت العلم بالدين والسياسة بالاخلاق ،
كما اتسمت بالبساطة والبعد عن ايتعقيد والصراع
فالصلة بين الله والانسان مفتوحة دائما ، وقائمة ابدأ
دون وساطة لكهنة أو لمعبد ، والاسلام عبادة ومعاملة ،
وهو نظام مجتمع ومنهج حياة ، فيه رحابة التقبل لكل
جديد متى كان صالحا ، والتفتح على آفاق الامم
والحضارات يأخذ منها ويدع ويعطيها أيضا .

ومن هنا كانت حضارة الاسلام حضارة جامعة
وحضارة وسطية ولها أساس ثابت مستقبلي للمتغيرات ،
ولقد عرفت للمرأة حقها وحريتها ونظمت علاقة اليتامى
والفقراء والارامل والخدم في سماحة ورحمة ، ولقد
كرمت العلم وشرفت العقل ولم تنس تكامل القلب
والعقل ، واتسمت بطابعها المميز الذي لا ينصهر في
الحضارات أو العقائد ، وحافظت على مقوماتها .

كل هذا هو الذي أعطاها طابعها اخاص ومن
هنا فقد اختلفت مع الحضارة الغربية حين التقت بها
في العصور الحديثة اختلفا شديدا وامتد الصراع
عندما فرض على المجتمع الاسلامي أن يواجه الفوز
الاستعماري الحديث الذي حاول أن يفرض حضارته
وقيمه .

لقد قامت حضارة الغرب على مفاهيم متناقضة
تجمعت في اطار واحد : هي الوثنية اليونانية وايقانون
الروماني . وخرجت من مفهوم الرحمة والرهبانية
المسيحية الى مفهوم الاستعمار بالقتل والارهاب وهو
مفهوم روماني وثني يقوم على نظرية (السادة روما
وما حولها عبيد) وخرجت من مفهوم الاعتقاد قبل
الاقتناع الى مفهوم اعلاء العقل وحده ، وسيطرة
الطابع المادى ، وخرجت من مفهوم الدين الى التحرر
من القيم الاخلاقية والمعنوية واطلاق اغرائز والحسيات ،
كل هذا مع نزعة الاستعلاء العنصرى بالدم والعرق
والجنس الابيض تاج الخليفة كما يقولون ، وماله من
حق استعباد الملونين ، وقد ارتبطت هذه النزعة
بالحضارة الغربية ارتباطا عضويا ومباشرا مما
افقدها مقومات الحضارة ولما كانت الحضارة لاتنفصل
عن الدين فان انفصال الحضارة الغربية عن قاعدتها
هو نذير انهيارها واندحارها .

ومن هذا التحول في الهدف والغاية والاسلوب
فان الحضارة الغربية اليوم تحلق بجناح واحد وتقف
على شق واحد ، وتتعرض في كل خطواتها للازمات
الصاعقة ، وقد فرض ذلك عليها ما اطلق عليه اباحثون
« أزمة العصر » وعندهم أن السبب في أزمة الحضارة

اخلاقى محض ، وان الحضارة انما تبدأ فى الانهيار اذا أعوزها العامل الاخلاقى حتى ولو كانت الخلافة الاخرى من الحضارة مزدهرة ناشطة » والعامل الاخلاقى هنا يعنى الضوابط والحدود التى تقوم بين الفضيلة والرذيلة والطول والحرام والمعروف والمنكر، والحق والهوى ، والايمان والالحاد) وفى مجموعة رأى الباحثين أن هذه التحديات هى :

أولاً : انفصال العلم عن الوازع الدينى والرقيب النفسى .

ثانياً : انهيار القاعدة الاخلاقية للحضارة .

ثالثاً : ازدياد نمو الجوانب المادية للمجتمع وبطء نمو الجوانب الروحية مما يؤدى الى الاحتلال بين القوى الفاعلة والقوى المنفعلة وهو ما يعبر عنه اختلال التوازن بين العقل والقلب .

وقد شهد للحضارة الغربية بالفساد والاضطراب عدد من أعلام فكرها .

يقول أرنولد توينبى : ان ازمة الحضارة الغربية الحديثة هى : « الدين » ، وأن احضارة الغربية المتدهورة لا يمكن انقاذها الا بالدين ، ذلك لانها مصابة بالخواء الروحى الذى يحول الانسان الى قزم مشوه يفتقد عناصر وجوده الانسانى ويعيش الحد الأدنى من حياته ، وهو حد وجوده المادى فحسب مما يصيبه بأمراض السأم الروتينية ، وفقدان الهدف فى كل ماأتى به ، ويحول حياته الى جحيم مشوب بالقلق والحيرة الذهنية والتمزق النفسى ، خواء روحى ، يحول المجتمع الى قطيع يركض بلا هدف كما تركض القطعان ، دونما تفحص لمعنى مسيرته الهوجاء كما يضطر المدركون أحيانا الى اعلان انشقاقهم عليه .

ويقول توينبى : ان الحضارة الغربية اليوم تعاني أخطر الازمات فهى حضارة علمانية لاحقة بالمسيحية تعيش على بقايا مختلفة من المبادئ المسيحية المشوهة وهى فوق كل ذلك مأخوذة ببدعة تقديس الفرد كفكرة الانسان الجماعى ، مجسدة فى أنظمة الدول الفاشستية وازنازية والشيوعية والقومية والاقليمية .

ويقول : لم تكن الحضارة مطلقا بالانسان من حيث تكامل وجوده بشقيه الروحي والمادى .

ويرى مالك بن نبي ان انحراف الحضارة يرجع الى فقدان التوازن بين العقل والروح ، على أساس ان كل حضارة لها أساس مزدوج : مادى وروحى وهو أساس لازم لكل بناء اجتماعى اهل للخلود .

ويقول مسخ خورى : لقد حسب هيجل أن أزمة العالم سياسية فحاول حلها بالدعوة الى تحقيق الدولة المثلى ، واعتقد ماركس أنها اقتصادية فحاول حلها بالدعوة الى تحقيق النظام الاشتراكى اما توينبى فأيقن أن حقيقة الازمة ليست سياسية ولا اقتصادية وأن هيجل وماركس يخلطان بين الاعراض والجوهر ، وبين الوسائل والغايات وان الازمة فى نظر توينبى أزمة روحية .

ويقول البرت اشفتر : ان التقدم المادى فى هذه الحضارة أكبر بكثير من التقدم الروحي ، ولقد اختلف توازن الحضارة فالاكتشافات التى جعلت قوى الطبيعة تحت تصرفنا على نحو لم يسبق له مثيل ، أحدثت ثورة فى العلاقات بين الافراد بعضهم البعض ، وبين الجماعات والدول ، لقد أثرت معارفنا وزادت قوتنا

الى حد لم يكن فى وسع أحد أن يتخيله ونحن نغالى
فى تقدير انجازات الحضارة المادية دون تقدير لاهمية
العنصر الروحى فى الحياة ان الحضارة الحديثة لا تنمو
فيها الا النواحي المادية دون أن يواكب ذلك نمو
متكافئ فى ميدان الروح ، وهى فى ذلك أشبه بسفينة
اختلفت قيادتها ومضت بسرعة متزايدة نحو الكارثة
التي ستقضى عليها ، والطابع الجوهرى للحضارة
لا يتحدد بانجازاتها المادية بل باحتفاظ الافراد بالمثل
العليا لكمال الانسانية وتحسن الاحوال المادية
والسياسية للشعوب والانسانية فى مجموعها . والحق
أن العنصر الحاسم فى تقويم الحضارة ليس فيما
أنجزته من أعمال مادية بل يتوقف على كون الفكر
يسيطر على الاحداث أو لا يسيطر أن الحضارة الاوربية
المعاصرة تعاني أعراض التحلل والانهيـار . وإسبب
فى أزمة الحضارة سبب أخلاقى لان الحضارة تنهار
إذا أعوزها العامل الاخلاقى ، حتى حينما تكون العناصر
الخلاقة الاخرى من الحضارة مزدهرة ناشطة .
وازدهار الحضارة تصحبه دائما آداب توقير الحضارة
ونظرة شاملة الى الكون تبرر هذا الاتجاه الاخلاقى
فاذا سادت هذه النظرة ازدهرت الحضارة ونمت ، اما
اليوم فقد أصبحت وجهة النظر الاخلاقية للكون
مسلوبة القوة ، ولذلك أخذ العالم يتخبط فى الظلام

الدائس ، والعوامل التى آزرت الانحلال وزادت من خطورته موقف الانسان الاقتصادى فانسان العصر الحاضر يهرق بالعمل ، وهذا الارهاق يحول بينه وبين القدرة على التأمل وحصر الذهن فى التفكير . وقد رافق التصور الاخلاقى للحضارة ورجحان الجانب المادى على الجانب الروحى زيادة التقدم فى المعرفة التى لا تقيم وزنا للنوازع الاخلاقية . ان مشكلة الحضارة مشكلة اخلاقية . ان الانسان لن تكون له قيمة حقيقية الا من خلال كفاحه ليكون ذا خلق واذا اعوزته الاساسى الاخلاقى تداعت الحضارة .

ويقول الدوس هكسلى : أن فساد العالم يرجع الى دعوة الخطباء والشعراء والمثليين للتمادى فى الحياة المستهترة والاباحية ، وقد بالغوا فى مدح الحرية والتوسع فيها وان الشر كله يرجع الى تمرد الناس عن حياة الروح واندفاعهم وراء المادة وقصر جهودهم على الربح والشهوات واعراضهم عن المثل العليا ، وقد بالغوا فى مدح الحرية والتوسع فيها حتى أصبحت مرذولة مبعوضة كالسم الذى ينقلب داء بعد أن كان دواء . وان المثل العليا حقيقة لا شك فيها لانها ضرورة للعالم وهى الوسيلة للقضاء على الفلسفة المادية التى أعجب بها هواه الملذات والباحثون عن

مسرات الحياة بأنواعها ، وان النفوس البشرية لتضيع في سبيل هذه اللذات وتفقد الثقة بالفضائل ، وقد أجمعت أرقى العقول في سائر الازمان والاماكن على أن غاية الانسانية هي : السلام والمحبة والعدل .

ويقول سير (جون وولف) : ان الغرب الذي يتيه فخرا بطابع حضارته الوضعية الحديثة ، هذا الطابع الذى يطلق عليه (المودرنزم) أو العصرية التطورية قد قامر بكل رأس ماله على مائدة هذا المودرنزم بل وأفنى شخصيته الانسانية بكل طاقاتها الابداعية والروحية ، داخل دولابها الآلى الرهيب ، وقد أصبحت دول الغرب برمتها شوهاء الصورة من الداخل الى حد مخيف بعد أن سيطرت حضارة الآلة الديناميكية سيطرة عمياء بلهاء لا هدف لها ولا ناموس الا مجرد التطور الآلى الذاتى ، هذا التطور بل هذا الاندفاع الذى يسن بنفسه لنفسه قانون حركته مستقلا عن روح الانسان ومعنوياته مع انها تراث الآلاف من السنين .

ويقول هارلود لاسكى : ان حركة الانسانية في مسالك ازمن مصدرها الاصيل وباعثها الاول ذلك الصراع الناشب في أعماقها بين :

١ — سلطات الغريزة الذى يمثل الحرص على اشباع مطالب الفرد الضرورية ومطالب الجماعة .

٢ — سلطان المثل الاعلى الكامن فى ضمير الانسان ليهديه على الاستوب الامثل والاصح ولما كان الانسان يحيا بغريزته ووجدانه معا ، فالمعضلة الكبرى فى حياته هى كيفية الوفاق بين موجبات الغريزة وايماءات هذا الوجدان حتى لا تظل ذاته ميدانا لصراع حرير بين قوتين متعادلتين ، وأول سمة من سمات هذا العصر هو الشك والقلق وقد فقدت الحضارة ثققتها فى نفسها وايمانها العميق بحيوية القيم الثقافية السائدة وعجزت عن تحقيق ذلك الوفاق المنشود بين عالم المثل الاعلى الممثل فى كتابات الانسانيين وبين حقائق هذا الواقع الحافل بأهوائه وأطماعه وخصوماته ، ان الحضارة ثمر بمحنة من الشك والخوف والالحاد وتميع المعايير الثقافية والقيم الاخلاقية بصورة تنذر بشر مستطير د حياة الفرد وحياة الجماعة .

— ٤ —

وليس ما يقوله أهل هذه الحضارة الا دليلا اكيدا على انحراف الحضارة الغربية الحديثة عن قانون

المجتمعات وسنن الوجود في بناء الأمم والحضارات ،
ذلك لان مجموعة العناصر المتناقضة التي تحتويها قد
أحدثت هذا التضارب الشديد مع القوانين الانسانية
فهي قد أخذت من الاسلام المنهج التجريبي وشيئا من
العلوم الانسانية ولكنها عجزت أن تأخذ الوجهة الربانية
الخالصة وأخذت من المسيحية المثابرة والاصرار ولكنها
عجزت أن تأخذ منها الرحمة والاخاء وعادت تستقى
مرة أخرى من ذلك النبع المسموم الذي جاءت المسيحية
لتخرجها منه وهو نبع (المادية الاباحية الوثنية)
اليونانية فأفسدت ما أخذت وعجزت أن ترى الوجهة
الربانية ، أو الرحمة الانسانية ، أو تجمع بين الاخلاق
ومعطيات العلم ، أو تربط بين النفس والجسد والروح
والمادة والدنيا والآخرة .

ولقد دق المسيو بيتان آخر مسمار في نعش
الحضارة الغربية حين قال عام ١٩٤٠ :

لقد أتت الهزيمة من الانحلال فدمرت روح
الملاذات واللهو ما شيدته روح التضحية وانما أدعوكم
قبل كل شيء أن تتهموا بأخلاقكم « بهذه العبارة خاطب
بيتان شعبه موضحا له أسباب الهزيمة ولكنه في
الحقيقة كان يصدر حكما على الحضارة الغربية كلها .

ولقد تعالت الاصوات فى كل مكان تقول ان العلم قادر على ان ينقذ الحضارة : ويقول الكسى كاريل انه لا يستطيع : ذلك ان معارفنا العلمية فى الزمن الحاضر غير وافية ، فنحن نعرف كثيرا عن الحياة ولكننا لانعرف كثيرا عن أنفسنا ، عاجزون عن الملائمة بين نفوسنا وبين هذا العالم الميكانيكى الذى خلقناه ، والباعث على ذلك خطأ قديم ، عندما فرقوا بين الكم والنوع ، وعن بالاول فارتقى العلم المبني عليه وكان ازدهاره باهرا ، حصروا همتهم فى الكم وأهملوا كيف فحماستهم فى سبيل الوزن والقياس حولت الانسان الى عوالم الطبيعة والرياضة والكيمياء .

ان الصفات التى لا تقاس فى الانسان اهم من التى تقاس . هناك خطأ جاليليو فى التفرقة بين خواص الكم وخواص الكيف وهناك خطأ ديكارت فى الفصل بين الاشياء المادية والاشياء الروحية ، والاهتمام بالجسم دون العقل .

هذا الخطأ حول الحضارة الى الطريق التى أفضت الى انتصار العلم وانحطاط الانسان وعلى منقذى اعالم ان يتوفروا على دراسة الانسان من ناحية الكم والنوع معا ، وعليهم دراسة العقل الانسانى وهو

المجهول العظيم أن يقدم العلم فيما يتعلق بالفناء والصحة وشفاء الامراض قد تم على حساب النمو العقلى والمعنوى . والعقل لا ينحصر فى أساليب التفكير بل يمتد الى ادين والتصوف والجمال والروحانيات » .

ويقول الكس كاريل : ان الامم التى بلغت منها الحضارة الصناعية أعظم نمو وتقدم هى الآخذة فى الضعف والتى ستكون عودتها الى الهمجية والوحشية أسرع من سواها . ويتحدثون عن أثر الحضارة فى المجتمع الغربى : ذلك الاثر العميق حيث ازدادت الجرائم وانحطت الاخلاق وانحلت الروابط وتفاقم القلق والمرض والانهيار العصبى وادمان المخدرات، ويبحثون الآن عن الدوافع الحضارية التى تدفع أكثر من ألف شخص للانتحار فى اليوم الواحد كما يبحثون عن أسباب استفحال الجريمة فى المجتمع المقدم . ويبحثون عن ما أطلق عليه « طاعون المخدرات » .

وتشير الظواهر الى انتشار الامراض الزهرية وخاصة فى أوساط الشباب فهناك ثلاثة ملايين اصابة جديدة بالامراض الزهرية وقالت الابحاث ان ذلك يعود الى التدهور الاخلاقى والانحلال الشديد الذى تشهده

المجتمعات الغربية وأبرز مظاهر الفساد في المجتمعات الغربية : العنف والجنس .

ويشير الى هذا المعنى توفيق الحكيم حين يقول :
« سر المحنة الفكرية في أوربا اليوم ، أن الناس قد أطرحوا (العالم الآخر) الذي تصوره الأديان ولم يعرفوا لهم غير عالم واحد هو الأرض ، ولم يعرفوا لهم إلا أسلوبا واحدا هو المنطق العقلي والتجريب العلمي ، فأوربا الآن قلقة حائرة في أزمتها الراهنة ولا شيء في داخلها يستطيع انقاذها فان التكالب على هذا العالم الواحد : عالم الواقع والدنيا قد أزاع الابصار وأن وسائلها المادية لا تهينها إلا لفهم مظاهر الحياة السطحية » .

والحق أن الحضارة الغربية الحديثة لم تعد تملك امكان حل أزمتها الخائقة ، بعد أن عقيمت التربة وفسد الهواء ، فهي تقفز من حل الى حل ، ومن منهج الى منهج ، محاولة الخروج من الازمة التي تعترضها وتحيطها من جميع الاطراف وتسد عليها منافذ الهواء والنور ، دون جدوى . منذ أن تركت رسالة السماء : ومنذ عجزت تفسيرات الدين عن اعطائها عطاء النفس والروح مرتبطا بمنجزات العلم ، لم يكن هو الدين

ولكن هى تفسيرات الدين ، ولو أنها التهمت الدين الحق لوجدت فيه مطمح الامن وسلام النفس . فشلت الفردية لأنها اندفعت تستعلى على الناس بالدم الابيض وقهر الشعوب الملونة واحتقارها ، وفشلت الجماعية لأنها دفعت المجتمعات الى الصراع الطبقي وأهدرت كرامة الانسان وأذلت الفرد واحتقرته فهو فى نظرها ليس الا ترسا فى آلة ، ودمرت الاخوة الانسانية باثارة روح البغضاء والحقْد بين مختلف الطبقات وكانت الدعوة الى القومية عنصرية لأنها عادت جيرانها وفشلت الدعوة العالمية لأنها كانت تستهدف سحق الامم والقضاء على ذاتيتها وكيانها ، وحملت رياح المادية الفكر البشرى الى كل أفق فليس فى الكون شئ ثابت والدين نبع من الارض ولم ينزل من السماء والاخلاق نسبية وغاية الحياة الجنس واللقة وحاولت الفلسفات المادية الغربية أن تقول بأن الدين مرحلة فى حياة الامم .

وان الامم المتحضرة قد تجاوزت هذه المرحلة ، وأن الدور الذى احتاجت البشرية فيه الى الدين قد انتهى ، وهى بذلك هدمت نفسها ، وحطمت كيانها بيدها ، فالدين ليس مرحلة فى حياة الامم ولكنه عماد حياة البشرية نفسها وقاعدة الحضارة ، فهو عنصر

أصيل وكيان عضوى فى تركيب الإنسان — عقله وروحه وحياته ، لا سبيل الى انفصاله عنه أو انتزاعه منه ، ومنذ أخذ الغرب يتجاهل الدين (بمعناه الحق) ويتجاوزته فإنه يواجه الآن أخطر أزماته أن تجزئته أوروبا فى هذا الصدد لا تفيد البشرية بل تسبب اليأس ونحن نرى أن الغرب بعد أن ترك الدين قد فقد كيانه الحقيقى ، لقول كرلس موريسون رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك ، لسوف تنتهى الحضارة بدون العقيدة والدين ، ولسوف يتحول النظام الى فوضى وسوف ينعدم التوازن وضبط النفس والتماسك وسوف يتفشى الشر فى كل مكان . وانها لحاجة ملحة أن تقوى صلتنا وعلاقتنا بالله اذا أردنا الحياة .

ويتحدثون عن الوصول الى القمر ويروونه قمة انتصارات الحضارة ، ويقول الباحثون « ان الحضارات حين تبلغ الذروة فى الكشف والاختراع والعلم ومظاهر التقدم المادى كثيرا ما تصاب بتفكك فى المجتمع وانصراف الى لذة الجسد والاغراق فى الماديات . والقول بأن الوصول الى القمر دليل على أن الحضارة الغربية لا تزال فى أوجها قول ينقصه الدليل وينقصه التفكك المشاهد فى مجتمعاتها والانسياق وراء الترف واهدار القيم الانسانية وينقصه ما هو معروف عن

دورة الحضارات وانتقالها من مكان الى مكان » .

وحينما تعطى الحضارة الغربية كل شيء تفقد كل شيء ، حين تعطى الحريات المطلقة بين الرجل والمرأة في العلاقات وتيسر الرزق الوفير والمال الكثير ، وحين يستطيع كل انسان أن يعمل ما يريد ، وأن يرفل في الترف والرخاوة والتحلل ما يشاء عندئذ ينصدع المجتمع والانسان معا ، فيتفشى الانتحار والاقدام على الجرائم وانهيار الاسرة وذيوع المخدرات والشذوذ . والامراض النفسية ويقتل الفنى روح الكفاح والعزيمة والارادة ومعنى هذا أن مفهوم الغرب في الحضارة فاسد ، لان الحضارة في الحقيقة ليست تقدما ماديا مقطوع الصلة بالاخلاق والضوابط والحدود التي تحفظ الكيان الانساني والكيان الاجتماعي ، وهذه الضوابط والحدود التي انفصلت من التقدم هي الدين الذي يرفضه الغرب والذي هو مصدر أزمته ، فان التفوق العلمى يعلى شأن الانسان من ناحية المادية ولكنه يترك ناحيته المعنوية خلاء وظلاما ومن ثم تقع الازمة القلق والتمزق والغربة فلا بد من ان توازن الحضارة بين معطيات المادة وآفاق الروح .

وهذا هو الفارق العميق بين مفهوم الاسلام للحضارة ومفهوم الغرب .

ان الحضارة الغربية يسرها فكر مادی تلمودی .
اباحی يضع أهداف اليهودية العالمية في اطار نظريات
تبرر الانحلال والتدمير فلسفيا وهى فلسفة تخرج عن
نطاق العلم التجريبي ولا تخضع له وهى فى أسوأ
صورها تتمثل فى الشيوعية ولكنها فى المجتمعات
الآخري تنطلق من خلال نظريات التحليل النفسى
لفرويد والعلوم الاجتماعية ومفاهيم الاخلاق والتطور
والفن وهى كلها مفاهيم زائفة تحاول أن تبرر الجريمة
والاباحية والاحاد وتهدف الى تدمير الاسرة الانسانية
ونقل الناس الى الوثنية من جديد .

ويعرف الغربيون أن (أزمة العصر) هى : فى
الانفصال بين المادى والروحى ، وبين العقل والقلب
ولكنهم عاجزون عن ايجاد حل للتكامل والموائمة ذلك
لان تركيب فكرهم ومجتمعهم وعقائدهم قام على أساس
الانشطارية وهناك قوى ضخمة عاتية تحول بينهم وبين
التماس طريق التكامل الجامع : طريق الاسلام ، تلك
هى القوى التى ما تزال تأمل أن تسيطر على العالم
وتحوله الى امبراطورية صهيونية تلمودية فهى التى
ما تزال تدمر هذا العالم بالمرح والفن والاباحية
وتحارب الدين وتطارد الاخلاق والقيم .

ولقد فهم المسلمون هذا ووعوه وعرفوا ان الحضارة

الغربية تمر اليوم في دور الدمار فمن العبث أن يطلب اليهم الانضمام اليها أو اعتناق فكرها الذي وصل الى أقصى درجات التحلل والانحراف ، وهم لا يرون لانفسهم ولا للعالم طريقا الا طريق الاسلام ، فهو الذى يقدم للبشرية حضارة الانسانية : لا حضارة جنس معين ، ولا ايدولوجية معينة ، انها حضارة تستمد وجودها من الترابط بين الاذلى والبشرى ، بين الثوابت والمتغيرات ، بين الدنيا والآخرة : حضارة التوحيد التى تقوم على أساس الايمان بالله الواحد الاحد خالق كل شىء ، والتى تعمل على اقامة المجتمع الربانى فى الارض ايمانا بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر وقوامها الاخاء البشرى والعدل والرحمة وقرار وحدة النوع الانسانى رغم تنوع أعراقه وأوطانه وهى حضارة تقوم على النظرة الشاملة الجامعة للانسان والحياة والمتوازنة بين المادية والروحية التى تجعل من الضوابط والحدود والاخلاق اطارا لحركتها مع الحفاظ على شخصية الانسان الذاتية ودفعها حثيثا من الانانية الى الفيرية ومن الفردية الى الاجتماعية فى ظل الخير والعدل والرحمة .

ان معركتنا الحضارية فى مواجهة التحدى الاستعمارى والصهيونى والماركسى تدفعنا الى أن نبدا

من النقطة التي بدا منها المسلمون في العهد الاول ،
لنبنى كيانا انسانيا ربانى الطابع فوق ووسط صراعات
العصر ، بأخذ العلم الحديث وصهره في بوتقة التقوى
الاسلامية ، ليكون زادا للبشرية كلها ، وليس لامة منها
دون امة اخرى ، انه في الامكان أن تتخذ الامة الاسلامية
التكنولوجيا الحديثة وقد أعطيت المال والتفوق البشرى
لتصهره في اطار التوحيد الخالص وتقدم للبشرية نموذجا
جديدا من الحضارة يقوم على العدل والرحمة والاخاء
البشرى ويجعل معطيات الارض كلها للناس جميعا
بالعدل والرحمة .

ولن يذل المسلمون أبدا من أجل الحصول على
التكنولوجيا ولن يخلعوا قيمهم وذاتيتهم ، فهي مقدمة
عندهم على كل شيء ، ولكنهم سيقدمون للبشرية شيئا
جديدا عجزت عنه الحضارة الغربية الحديثة، سيقدمون
لها شفاء الصدور وسكينة القلوب وهدى الافئدة مع
أعظم معطيات المادة في جماع واحد ، عندما تسلم الامم
أنفسها لله خالصة ، وتعرف أن ربها الرحمن هو صاحب
العطاء الاول والاخير فيما بين يديها من حظوظ العلم
والتقدم والحضارة وتعرف أن مصادر العلوم كلها من
الله ، وأن معطيات الحضارة كلها يجب أن توجه في
سبيل بناء المجتمع الربانى القائم على أداء حق الله

وتطبيق شريعته والتماس حدوده وضوابطه التي هي
لحماية الانسان والاسرة والمجتمع والحضارة من عوادي
الانحراف والانهيار :

(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم
بركات من السماء) .

وسوف يذكر المسلمون أن « الغرب » قد حال
دون أن يمتلك المسلمون أداة العلم والتكنولوجيا وحجبها
عنهم ، وأعطاهما بديلا منها مفهوما فلسفيا يستهدف
به اخراجهم من قيمهم وتاريخهم وتراثهم وذاتيتهم حين
دعاهم الى ان وسيلة النهضة الوحيدة هي في « علمنة
الذات » واخراجها من دينها وأخلاقها ، وتغريبها
وانتقالها الى العالمية والاممية في أشد مراحل فساد
هذه العالمية وتحللها واضطرابها . هذه الدعوة
المسمومة الى اخراج المسلمين من ضوابطهم الاخلاقية
وقيمهم المعنوية وتاريخهم وتراثهم بوصف انها من
القديم البالى المعوق عن التقدم الحائل دون النهضة .

ولقد استطاع المسلمون أن يكسروا هذا القيد :
وأثبتوا أنهم قادرين على امتلاك أحدث أدوات العلم
الحديث واستعمالها ، على الرغم من احتجاز الغرب

لها واسرافه فى معطيات الترف والمتع الزائفة والفنون المنحرفة والتحلل الخلقى ، والملابس والازياء والمودات والعمود وتصفيف الشعر والاغانى والمراقص ، هذه التى يصدرها الى عالم الاسلام بغير حساب .

ان كلمة الحضارة لها فى الاسلام معنى مختلف تمام الاختلاف عن المعنى الغربى الوافد الذى يراد فرضه اليوم على المسلمين ، وبرز ما هنالك النظرة الجامعة الاسلامية والنظرة الانشطارية الغربية فالمسلمون يفهمون الحضارة بمعناها الجامع بين تحضير المجتمعات وتحضير النفس الانسانية ، لا يضحون فى سبيل التقدم المادى بالنفس الانسانية لتصبح مدمرة ممزقة تعيش فى كهوف الخوف والشك والتشاؤم على النحو الذى نراه فى مجتمع الغرب اليوم ، نحن نعرف أن الحضارة الحديثة التى ندعى اليها ويطلب اليها أن نأخذها هى سلوك وتقاليد واسلوب عيش وحياة ينسجم من الذاتية الغربية ويتعارض معنا ، اما العلم فهو وحده الذى هو حق كل الامم أن تأخذه لانه عالمى، اما نظريات الاجتماع والاخلاق والنفس والتربية فلكل امة مناهجها التى تتفق مع طبيعتها وعصرها وبيئتها وهوارثها الثقافية وعقائدها . ونحن لا نقر مفاهيم الغرب فى هذا المجال ولنا قيمنا التى لا تستطيع أن تبني

حضارتنا الا بها وعلى أساسها : صبغة الله ومن أحسن
من الله صبغة ، وشرعة الهدى والحق الى أن يرث الله
الأرض ومن عليها .

ان الغربيين يخدعوننا حين يعطوننا أسلوب
عيشهم بديلا للعلم والتكنولوجيا لانهم لا يريدون لنا ان
نحقق وجودنا وان نظل تابعين لهم : معبرا ومصدرا
للخامات وسوقا للتجارة ، ولا بأس من ذلك في حدود
ذاتيتنا الكاملة وأسلوبنا الربانى فى الأسرة والمجتمع
والعلاقة بين الابوة والبنوة وبين الرجل والمرأة ، على
أساس الاخلاق ووضوابط المجتمع وحدود الله ولن يضحى
المسلمون بزخرف الغرب فى سبيل التنازل عن قيمهم
ودقواتهم ، مهما وصفت بأنها بدوية أو متأخرة ،
فهى مصادر الصمود الحقبة التى أعانتنا على الانتصار
فى كل معارك الغزو وستظل عدتنا فى مواجهة كل
عدوان .

ان هذه الدعوة الى الانصهار فى حضارة الغرب
انما تستهدف القضاء على قوى الصمود والحياة والبقاء
التي علمنا اياها الاسلام والتي لا تزال باقية فى أعماق
الامة فى أحشائها وهى عدتنا فى النازلات ولقد سقطت
تلك الدعوات المسمومة التى دعت المسلمين الى قبول

الحضارة الغربية حلوها ومرها ، وخيرها وشرها
وما يحمد منها وما يعاب وعرف المسلمون أنهم كانوا
مخدوعين حين قبلوا الاحتواء الغربي الذي أنزل بهم
الهزائم والنكبات في السنوات الثلاثين الأخيرة ،
وعرفوا أن كلا المنهجين الليبرالي والماركسي قد وضعا
المسلمين في طريق الفناء وأن الأسلوب الوحيد لبناء
حضارية إسلامية إنما هو التماس المنابع الأساسية
من القرآن على نفس الطريق الذي سار فيه محمد بن
عبد الله وصحبه .

رقم الايداع بدار الكتب ٧٩/٣٨٣٢

الترقيم الدولى ٦٨ — ٧٣.٨

المطبعة الفنية تليفون : ٩١١٨٦٢ — القاهرة

على طريق الأصالة الإسلامية

تعالج قضية هامة من القضايا المعاصرة التي تتطلب بيان وجه الإسلام فيها .

- ١- ألف مليون مسلم على أبواب القرن الخامس عشر الهجري
- ٢- الاستعمار والإسلام
- ٣- الصهيونية والإسلام
- ٤- الحضارة في مفهوم الإسلام
- ٥- التآخي في مفهوم الإسلام
- ٦- فساد نظام الرأسمالية في الاقتصاد العالمي
- ٧- البرق المفصصة بعد ثلاثين عاما « فلسطين »
- ٨- نقطة الإسلام في تركيا
- ٩- أكنز وبتان في تآخي الأدب الحديث
- ١٠- التربية الإسلامية هي الإطار الحقيقي للتعليم

أنور الجندي

دار الأنصار

٨١ شمس البستان ناصية شارع الجمهورية - عابدين - ٩٣١٥٨١